

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### بِقِطَّةِ الضَّمِيرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَهْدِي لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِوَحْيِ السَّمَاءِ، أَحْمَدُهُ  
وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَهْدِيهِ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ  
فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَطَرَّ  
النَّاسَ عَلَى دِينٍ قِيمٍ سَوَاءٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، نَقَى اللَّهُ تَعَالَى قَلْبَهُ  
وَصَفَّى ضَمِيرَهُ، فَكَانَ سَيِّدَ الْأَصْفِيَاءِ، وَإِمَامَ الْأَتْقِيَاءِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ،  
وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ: أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي أَوْلًا بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ وَطَاعَتِهِ، وَاعْلَمُوا  
- رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ رَقِيبًا عَلَى أَعْمَالِهَا مِنْ نَفْسِهَا،  
وَشَاهِدًا عَلَى أَفْعَالِهَا مِنْ ذَاتِهَا، ذَلِكَ هُوَ الضَّمِيرُ، الْمُشْرِفُ عَلَى خَطِّ سَيْرِ الْإِنْسَانِ رَقِيبًا  
وَأَنْحِطَاطًا، وَالْمُحَاسِبُ عَلَى خَلَجَاتِ النَّفْسِ وَخَطَرَاتِهَا، فَإِنَّ أَتَتْ أَبْوَابَ الْخَيْرِ انْشَرَحَ  
الصَّدْرُ وَاطْمَأَنَّ الضَّمِيرُ، وَإِنْ افْتَحَتِ ظُلُمَاتِ الْمَعَاصِي تَأَلَّمَ الضَّمِيرُ، وَهَذَا مِنَ الْفِطْرَةِ  
الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا، حَيْثُ النُّزُوعُ إِلَى الْخَيْرِ وَحُبُّ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَالبُعْدُ عَنِ  
اِقْتِرَافِ الشَّرِّ وَالسَّيِّئَاتِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ  
عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِمَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وَقَدْ وَرَدَ  
فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ إِطْلَاقُ لَقَبِ "وَاعِظِ اللَّهَ" عَلَى ضَمِيرِ الْإِنْسَانِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:  
(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَتَةٌ،  
وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا  
الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعُوجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ  
شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ، لَا تَفْتَحْهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجُهُ، فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ،

وَالسُّورَانَ حُدُودَ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمَفْتَحَةَ مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصَّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصَّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ))، فَوَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ هُوَ ضَمِيرُهُ الْحَيُّ الْيَقِظُ الَّذِي يُلُومُهُ عَلَى التَّفْرِيطِ، وَيَحْتُهُ عَلَى أَدَاءِ الْوَاجِبِ، وَكَمْ يُؤَنِّبُ الضَّمِيرُ صَاحِبَهُ عَلَى سَيِّئِ أَعْمَالِهِ؛ حَتَّى يَصِلَ بِهِ إِلَى الْإِقْرَارِ وَالْاعْتِرَافِ عَلَى سُوءِ الْاِخْتِيَارِ وَالْاِقْتِرَافِ، وَقَدْ يُحَسِّنُ الْمُجْرِمُ التَّخْلَصَ مِنْ تَوْجِيهِ التُّهْمَةِ إِلَيْهِ أَمَامَ الْقَضَاءِ فِي الْمَحَاكِمِ، وَلَكِنَّهُ يَجِدُ مِنْ ضَمِيرِهِ مُحَاكِمَةً لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّخْلَصِ مِمَّا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْهَا مِنَ اللَّوْمِ وَالتَّعْنِيفِ، فِي دَاخِلِهِ صِرَاعٌ عَنيفٌ، وَلَا غَرَابَةَ أَنْ أَقْسَمَ الْمَوْلَى بِذَلِكَ الضَّمِيرِ الْمُوَنَّبِ لِصَاحِبِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ، وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللُّوَامَةِ﴾ (١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

يُولَدُ الْإِنْسَانُ سَوِيًّا الْفِطْرَةَ، نَقِيًّا الضَّمِيرَ، طَاهِرَ الْقَلْبِ، وَيَزْدَادُ ضَمِيرُهُ حَيَاةً وَيَقْظَةً إِذَا مَا عَاشَ فِي مُجْتَمَعٍ صَالِحٍ، وَبَيْنَ أَبْوَيْنِ صَالِحِينَ، يَدُلُّانِهِ عَلَى الْخَيْرِ، وَيَحْتَانِهِ عَلَى الرُّشْدِ، عِنْدَهَا يَشِبُّ ذَا ضَمِيرٍ حَيٍّ، وَقَلْبٍ سَلِيمٍ، أَمَّا إِذَا مَا عَاشَ وَسَطَ مُحِيطِ سَيِّئٍ، وَبَيْنَ أَبْوَيْنِ يُهْمَلَانِ تَرْبِيَّتَهُ عَلَى الْخَيْرِ وَالتَّقْوَى وَالصَّلَاحِ فَإِنَّهُ يَشِبُّ ذَا بَاطِنٍ مُلَوَّثٍ، وَسَرِيرَةٍ مُظْلَمَةٍ، وَيُصْبِحُ مِنْ ذَوِي الضَّمَائِرِ النَّائِمَةِ الَّذِينَ هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى إِفْقَاطِهِمْ مِنْ سُبَاتِهِمْ الْعَمِيقِ، فَلَنَحْرِصْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - عَلَى تَرْبِيَةِ أَبْنَانِنَا عَلَى الْخَيْرِ، وَتَنْشِئَتِهِمْ عَلَى الرِّشَادِ لِنَسَلِمَ لَهُمْ قُلُوبَهُمْ، وَلِيَكُونُوا ذَوِي ضَمَائِرٍ حَيَّةٍ، وَسَرَائِرٍ نَقِيَّةٍ، إِذْ لَا تَكْمُلُ تَرْبِيَّتُهُمْ بِتَغْذِيَةِ أَجْسَادِهِمْ مِنْ دُونِ الرُّقِيِّ بِأَرْوَاحِهِمْ، وَتَطْهِيرِ ضَمَائِرِهِمْ، وَمَنْ لَمْ يَحْوِ جَسَدُهُ ضَمِيرًا حَيًّا، وَلَمْ يُرْزَقْ قَلْبًا نُورَانِيًّا؛ كَانَ لَا يَعْدُو جَسَدُهُ أَنْ يَكُونَ هَيْكَلًا يَحْبِسُ الرُّوحَ، وَقَفْصًا تُسْجَنُ فِيهِ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ الْحَقُّ فَإِنَّهُ يُجَلِّي قَلْبَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَيُنِيرُ ضَمِيرَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ؛ فَيَحْيَا الْحَيَاةَ الْإِيمَانِيَّةَ، الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا الْجَسَدُ وَالرُّوحُ مَعًا، وَمَا مَثَلُهُ حِينَذَلِكَ إِلَّا ﴿كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ<sup>ط</sup> الْيَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْفِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا

مُضِيٌّ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴿١﴾، وَهُوَ الْحَرِيُّ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ حَيَاةَ الْمُؤْمِنِ فِي الضِّيَاءِ لَيْسَتْ كَحَيَاتِهِ فِي الظُّلْمَةِ، إِنَّهَا حَيَاةٌ ذَوِي الضَّمَائِرِ السَّلِيمَةِ الَّتِي لَا يَشُقُّ عَلَيْهَا تَحْمُلُ التَّكَالِيفِ، وَلَمْ تَعْجِزْ عَن تَجَنُّبِ الْآثَامِ وَالْبُعْدِ عَنْهَا، لِأَنَّ الضَّمِيرَ السَّلِيمَ يَدُلُّ صَاحِبَهُ عَلَى كُلِّ فِعْلٍ قَوِيمٍ، سَالِكًا بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، يَقُولُ الْحَقُّ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾، وَلرَبَّمَا تَكَدَّرَ صَفَاءُ الضَّمِيرِ بِمَا يَعْرِضُ لِلْمَرْءِ فِي حَيَاتِهِ مِنْ فِتَنِ وَابْتِلَاءَاتٍ؛ فَلَا بُدَّ لَهُ بَيْنَ الْفِينَةِ وَالْأُخْرَى مِنْ مُمْلِحَةِ ضَمِيرِهِ، وَإِصْلَاحِ قَلْبِهِ. إِنَّ تَنْقِيَةَ الْبَوَاطِنِ وَإِصْلَاحِ الضَّمَائِرِ ضَرُورَةٌ، فَلَيْسَتْغَلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنَّا بِإِصْلَاحِ سَرِيرَتِهِ، وَتَنْقِيَةِ بَاطِنِهِ، وَتَصْفِيَةِ ضَمِيرِهِ، فَنَحْنُ الْيَوْمَ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ إِلَى يَقْظَةِ الضَّمَائِرِ مِنْ غَفَلَاتِهَا، فَلَا بُدَّ مِنَ الْاسْتِمْسَاكِ بِحَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنَ الْإِعْتِصَامِ بِهَدْيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤﴾﴾.

عِبَادَ اللَّهِ:

كَيْفَ يُمَكِّنُ لِلضَّمِيرِ أَنْ يَسْتَقِظَ؟ إِنَّهُ يُمَكِّنُ إِيقَاطُ الضَّمِيرِ بِذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذِكْرًا كَثِيرًا، فَإِنَّ الذَّاكِرَ يَذْكُرُهُ اللَّهُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبَهُهُ فِي سَاعَةِ الْغَفَلَاتِ،

(١) سورة النور / ٣٥ .

(٢) سورة الأنعام / ١٢٢ .

(٣) سورة الزمر / ٢٢ .

(٤) سورة البقرة / ٢٥٦-٢٥٧ .

فَوَقَّعَهُ لَاسْتِبَاقِ الْخَيْرَاتِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾<sup>(١)</sup>، وَيَقُولُ: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَرُوهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ((أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ))، وَلَيْسَ كَمَلَاذِمَةِ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مَوْقِفٍ لِلضَّمَائِرِ، وَمُطَهَّرٍ لِلسَّرَائِرِ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا، وَتَهْبُ بِنَفَحَاتِهَا عَلَى بَاطِنِ الْعَبْدِ فَتُطَهَّرُهُ، وَعَلَى قَلْبِهِ فَتُنِيرُهُ، وَعَلَى ضَمِيرِهِ فَتُنْقِيهِ، وَعَلَى عَمَلِهِ فَتُرَكِّبُهُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾<sup>(٣)</sup>، وَمِنْ خَيْرٍ مَا يَحْيَا بِهِ الضَّمِيرُ تِلَاوَةَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِتَدَبُّرٍ وَتَفَهُمٍ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٤)</sup>، وَمِمَّا يُوقِظُ الضَّمِيرَ الْاسْتِمْسَاكُ بِالشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ، وَإِقَامَةُ الْعِبَادَاتِ عَلَى تَنَوُّعِهَا فِي مَوَاقِفِهَا الَّتِي حَدَّدَهَا الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ، وَتَأَمَّلُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - كَيْفَ وَزَعَ الْمَوْلَى هَذِهِ الْعِبَادَاتِ لِتَشْمَلَ عُمُرَ الْإِنْسَانِ بِأَجْمَعِهِ، فَمِنْهَا مَا يَدُورُ بِدَوْرَانِ الْيَوْمِ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَمَا يَدُورُ أُسْبُوعِيًّا كَالْجُمُعَةِ، أَوْ سَنَوِيًّا كَالْعِيدَيْنِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ، أَوْ فِي الْعُمُرِ مَرَّةً كَحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَجْلِ بَقَاءِ ضَمِيرِ الْإِنْسَانِ حَيًّا مَدَى الْحَيَاةِ، وَمِمَّا يُوقِظُ الضَّمِيرَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - التَّخَلُّقُ بِالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ الْفَاضِلَةِ، كَالْتَوَاضُعِ وَالْحَيَاءِ، وَالصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ، وَالْبِرِّ وَالْإِخْلَاصِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالْمَرْحَمَةِ، وَمُجَافَاةُ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ كَالكِبْرِ وَالْحَسَدِ وَالْكَذِبِ وَالْغَيْبَةِ، وَالبُهْتَانِ وَالنَّمِيمَةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْخِلَالِ السَّيِّئَةِ الْمَمْقُوتَةِ، كُلُّ هَذَا مِمَّا يَجْعَلُ الضَّمِيرَ حَيًّا، وَشُعْلَتُهُ مُنْقَدَّةً.

(١) سورة البقرة / ١٥٢ .

(٢) سورة الأحزاب / ٤١-٤٣ .

(٣) سورة الفرقان / ٧١ .

(٤) سورة الإسراء / ٩ .

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِلْمُسْلِمِ مِنَ الطَّرِيقِ وَالْوَسَائِلِ لِإِيقَاطِ ضَمِيرِهِ، وَتَنْقِيَةِ قَلْبِهِ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُلَاحِظَ بَاطِنَهُ كَمَا يُلَاحِظُ ظَاهِرَهُ، وَكَمَا يَشْتَغِلُ بِتَزْيِينِ ظَاهِرِهِ أَمَامَ النَّاسِ فَعَلَيْهِ أَلَّا يُهْمَلَ تَزْيِينِ بَاطِنِهِ أَمَامَ رَبِّ النَّاسِ، فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))، فَالْقَلْبُ مَحَلُّ نَظَرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَا بُدَّ مِنْ تَصْفِيَّتِهِ وَتَنْقِيَّتِهِ، فَلْيَتَحَفَّظِ الْمُسْلِمُ مِنْ جَمِيعِ آفَاتِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَلِيَأْتِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ أَعْمَالِ الْمَعْرُوفِ وَالْبِرِّ، وَلْيَشْفَعْ مَا افْتَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِمَا سَنَّهُ لَهُ رَسُولُنَا الْمُصْطَفَى ﷺ، إِنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَحْيَا اللَّهُ قَلْبَهُ، وَنَقَّى لَهُ سِرَّهُ، وَأَيَّقَظَ لَهُ ضَمِيرَهُ، حَتَّى يُصْبِحَ هُوَ نَفْسُهُ سَبَبًا لِإِيقَاطِ ضَمَائِرِ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَيَجِدَ مِنْ حِفْظِ اللَّهِ لَهُ وَتَسْدِيدِهِ وَتَوْفِيقِهِ مَا لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ وَلَا مَدَاهُ، وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ: ((احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ)). فَالْمُؤْمِنُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - يَحْيَا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ لَحْظَاتِهِ وَسَائِرِ سَاعَاتِهِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ يُحْصِي عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ، فَيَخْشَى أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ رَبُّهُ بِمَا يُوجِبُ السَّخَطَ، وَبِمَا يُبَاعِدُهُ عَنِ مَقَامِهِ الْعَظِيمِ، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (١).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

\*\*\* \*\*

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ عِلْمُهُ جَمِيعَ الْعِبَادِ، وَخَصَّ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ بِسُلُوكِ سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً أَدَّخَرَهَا لِيَوْمِ الْمَعَادِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَوْضَحَ لَنَا طَرِيقَ الْهُدَى وَالسَّادِدِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى

يَوْمَ التَّنَادِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ إِحْيَاءَ ضَمِيرِ الْإِنْسَانِ يَصْدُقُ عَلَيْهِ مَا يَدْعُوهُ بَعْضُ الْمُعَاصِرِينَ بِـ " تَنْمِيَةِ الرَّقَابَةِ الذَّائِئَةِ " ، وَهِيَ تَتَحَقَّقُ بِتَنْمِيَةِ مَلَكَهَ الْخَيْرِ فِي النَّفْسِ، وَمُدَافَعَةِ نَوَازِعِ الشَّرِّ فِيهَا، وَخَيْرٌ بَاعَتْ لَهَا عَلَى ذَلِكَ اسْتِحْضَارُ رِقَابَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ عَلَى مَا يُمَارِسُهُ الْعَبْدُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ، وَهَذَا مَا يَفْرِضُهُ إِيمَانُ كُلِّ مُؤْمِنٍ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الرَّقِيبُ وَأَنَّهُ هُوَ الْحَسِيبُ، فَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ الْجَلِيلَتَانِ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى لَهُمَا آثَارٌ ظَاهِرَةٌ فِيمَنْ يَسْتَشْعِرُهُمَا فِي قَلْبِهِ، يَقُولُ الْحَقُّ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وَمَا أَكْثَرَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ الَّتِي تُنَبِّئُ الْعِبَادَ عَلَى ضَرُورَةِ اسْتِحْضَارِ هَذِهِ الرَّقَابَةِ فِي أَعْمَالِهِمْ وَسَائِرِ تَصَرُّفَاتِهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، فَإِذَا مَا اسْتَحْضَرَ الْعَبْدُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُفْرَدِهِ، بَلْ هُوَ مَحْفُوفٌ بِمَلَائِكَةِ اللَّهِ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ خَيْرٍ مَا يَجْعَلُهُ مُحَاسِبًا لِمَا يَأْتِيهِ وَمَا يَذُرُّهُ، وَيَقُولُ الْحَقُّ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ، كِرَامًا كَنِينِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فَعَمَلِيَّةُ التَّسْجِيلِ جَارِيَةٌ، وَالْإِحْصَاءُ مُسْتَمِرٌّ مَا دَامَ فِي النَّفْسِ نَفْسٌ يَتَرَدَّدُ، وَيَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿كَلَّا إِنَّهَا نَذْرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ، فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ، بِأَيْدِي سَفَرَةٍ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾<sup>(٤)</sup>، فَالرَّقَابَةُ الذَّائِئَةُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِذَا مَا نَمَتْ فِي نَفْسِ كُلِّ فَرْدٍ؛ اسْتِيقَظَ الضَّمِيرُ، فَكَانَ مِنْ ثَمَارِهِ عَدَالَةٌ كُلِّ مُوظَّفٍ وَمَسْئُولٍ، فَلَا مُحَابَاةَ وَلَا رَشْوَةَ، وَكَانَ

(١) سورة المجادلة / ٧ .

(٢) سورة يونس / ٦١ .

(٣) سورة الانفطار / ١٠ - ١٢ .

(٤) سورة عبس / ١١ - ١٦ .

مِنْ آثَارِهِ أَمَانَةُ التُّجَّارِ فِي تِجَارَتِهِمْ، فَلَا تَدْلِيسَ وَلَا إِخْفَاءَ لِلْعُيُوبِ، وَكَانَ مِنْ نَتَائِجِهِ إِخْلَاصُ الطَّلَبَةِ فِي دِرَاسَتِهِمْ، فَلَا غَشٍّ فِي الامْتِحَانَاتِ، وَلَا تَقْرِيطٍ فِي أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ، وَيَعْدُو مِنْ أَنْعِكَاسَاتِهِ حِرْصُ كُلِّ سَائِقٍ حَالِ قِيَادَتِهِ لِسَيَّارَتِهِ عَلَى الْإِئْتِزَابِ فِي شَيْءٍ مِنْ ضَوَابِطِ السَّيْرِ، أَوْ يَتَجَاوَزَ شَيْئًا مِنْ أَنْظِمَةِ الْمُرُورِ، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ امْتَحَنَ بِأَدَاءِ عَمَلٍ أَوْ الْقِيَامِ بِوَاجِبٍ كَانَ لَهُ مِنْ هَاجِسٍ ضَمِيرِهِ، وَيَقْظَةِ فُؤَادِهِ، وَرِقَابَةِ نَفْسِهِ، مَا يُغْنِي عَنْ وَعْظِ كُلِّ وَاعِظٍ، وَشَهَادَةِ أَيِّ شَاهِدٍ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقَرُّفَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقَرُّفًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعَفَافَ وَالعِنْيَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تَرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

يُعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.